د. صالح علي الزّين*

سوسيولوجية الاسرة ومضامينها في الكتاب الأخضر

لا ترجع أهمية دراسة الاسرة في ميدان علم الاجتماع إلى حقيقة كونها الخلية الاولى للحياة الاجتماعية فحسب، بل أيضا لكونها مسرح التفاعل الاجتماعي «Social interaction»، الذي يتلقى فيه الكائن البشري أهم عملية اجتماعية ألا وهي، عملية التطبيع أو التنشئة الاجتماعية وذلك منذ اللحظة الاولى التي تطأ فيها اقدامه عالم الوجود الكوني.

والاسرة هي الوحدة الأساسية في أي تنظيم اجتماعي، ومن مجموع الاسر يتكون المجتمع البشري، وفي قوة الأبنية الاسرية تتجلى قوة المجتمع وفي ضعفها ووهنها يتحدد ضعف المجتمع، وتقدم المجتمع يرتبط أو يتوقف بدرجة كبيرة على مدى تقدم الاسر المختلفة المكونة للبناء الاجتماعي الكلي، ولقد ادركت ثورة الفاتح من سبتمبر العظيمة منذ تفجيرها عام 1969م دور الاسرة وأهميتها الخطيرة في حياة الانسان، وأكدت بأن في التضامن الاجتماعي أساس الوحدة الوطنية وأساس كل تقدم مادي ومعنوي، هذا ولقد بلورت النظرية العالمية الثالثة هذه الأهمية في ركنها الثالث حيث يقول القائد المفكر (15:1979): «بأن الاسرة بالنسبة للانسان الفرد أهم من الدولة .. فالانسانية تعرف الفرد (الانسان) والفرد (الانسان) السوي يعرف الاسرة .. والاسرة هي مهده ومنشأه ومظلته الاجتماعية».

هناك الكثير من الاراء المتباينة بل والمتناقضة حول موضوع اصول وتاريخ الاسرة الانسانية، والبعض فيها مجرد اساطير وخرافات وضرب من الخيال، وقلة من هذه الاراء تؤيدها الحقائق والأدلة العلمية القاطعة، ويعتقد اصحاب النظرية التطورية التي سادت خلال القرن التاسع عشر أن الاشكال العليا للتفكير والثقافة مثلها مثل الاشكال العليا للكائنات الحية قد نشأت بطريق التطور عن الاشكال الدنيا، وخلال نمو الانسان نشأت الاسرة منبثقة عن مرحلة فرض جنسية أو إباحية جنسية «Promiscuity» تشير إلى حد كبير الحالة التي يحيا عليها الحيوان، وقد

---

* استاذ مساعد بقسم الاجتماع، كلية الاداب والتربية، جامعة قاريونس.

تطورت هذه الحالة إلى مرحلة الزواج الجماعي «Group marriage»، وبعد هذه المرحلة إلتف الأبناء حول الام وظهر النظام الأموي «Matrilineal system»، ثم لم يلبث ان تطور النظام الاسري من جديد وظهر النظام الأبوي «Patrilineal system» في شكل نظام تعدد الزوجات «Polygynous»، وقد بلغ هذا التطور الاسري اسمى صوره بظهور الاسرة التي يتزوج فيها الرجل بزوجة واحدة وهو ما يعبر عنه بوحدة الزواج «Monogamy» في قواميس العلوم الاجتماعية.

ولقد دلت الدراسات الانثروبولوجية، والسوسيولوجية على خطأ الافتراض القائل بأن النظام الاسري قد تطور من مرحلة الاباحة الجنسية، فمرحلة النظام الاموي أو الأمي، ثم مرحلة النظام الابوي، فالعالم الامريكي روبرت لوبي «Robert Lowie» في كتابه الموسوم «المجتمع البدائي 1920» يؤكد أن العلاقات الجنسية الحرة التي يشير لها اصحاب نظرية التطور «Evolution theory» ما هي إلا صورة وهمية، وانه ليس ثمة ما يثبت ان هذه الحالة قد وجدت في أي مرحلة من مراحل تطور الجنس البشري، وعلى أية حال، فنحن لا نعلم شيئاً يقينياً عن نطاق وحقيقة الاسرة في المجتمعات الانسانية الاولى، ولكن طائفة كبيرة من علماء الانثروبولوجيا والاجتماع يعتقدون بان بعض الشعوب البدائية أو البسيطة ـ سيما السكان الاصليين لقارتي استراليا وأمريكا ـ ممثلين إلى حد ما لما كانت عليه الانسانية في بداية نشأتها، وهذا راجع إلى حقيقة كون هذه الشعوب ظلت ردحاً من الزمن بمعزل عن التيارات الحضارية الكبرى التي توالى ظهورها بين سكان القارات القديمة الأمر الذي ساعد هذه الشعوب على الاحتفاظ بحالتها القديمة أو ما يقرب منها، ولكن الشيء الذي يجب ان نضعه في اعتبارنا هنا ان هذا لا يعني اطلاقاً أن هذه الشعوب قد افلتت من قانون التطور والتغير الذي هو سنةُ كافة المجتمعات البشرية وان اختلفت في الدرجة، ولكن معنى ذلك ان بعدها النسبي عن التيارات الحضارية مكنها من الاحتفاظ أو المحافظة على كثير من النظم التي سارت عليها المجتمعات البشرية في اقدم عصورها، وبالنظر إلى النظم العائلية لدى هذه الشعوب يتضح ان نطاق الاسرة فيها أو مفهوم الاسرة فيها كان واسعاً إلى حد كبير، فلم يكن هناك فرق واضح بين مفهومي الاسرة والعشيرة، بل كان كل افراد العشيرة الوحيدة يرتبط بعضهم ببعض برابطة ليست قائمة على صلات الدم

«Blood-ties» كما هو الشأن في الأمم الحديثة في الوقت الحاضر، ولكن الروابط كانت قائمة على أساس إنتماء جميع الافراد لطواطم «Totem» واحد، والطوطم كما يحدده قاموس علم الاجتماع (1968)هو «عبارة عن حيوان أو نبات أو جماد تتخذه القبائل والجماعات البشرية البدائية شعاراً ورمزاً لوحدتها وذاتها «Tdentily»»، وقد عثر الباحث عن نظائر لهذا العائل المتسع النطاق في أمم غير العشائر الطوطمية.

فمن ذلك ما كان عليه نظام الاسرة عند اليونان والرومان وعند العرب في عهود أو عصور الجاهلية، وفي اطار هذا المفهوم الواسع للاسرة، لم تكن درجة القرابة التي تربط الولد بابويه أو باحدهما تزيد في شيء على درجة القرابة التي تربطه بأي فرد آخر من أفراد العشيرة، هذا المفهوم الواسع أو المتسع للاسرة أخذ يضيق شيئاً فشيئاً حتى وصل إلى الحد أو الشكل الذي استقر عليه في أغلب أمم العالم في العصر الحاضر، فقد أصبحت الاسرة بمفهومها الضيق عند هذه الأمم لا تشمل إلا الزوج وزوجته واطفالهما غير المتزوجين، وقد اصطلح علماء الاجتماع على تسمية الاسرة ذات المفهوم الضيق بالاسرة الزيجية «Conjugal family»، أو الاسرة البسيطة «Elementary family»، أو النووية «Nuclear family»، وبالرغم من ان علماء الاجتماع مقتنعون بأن العائلة هي الوحدة الاساسية للتنظيم الاجتماعي في أي مجتمع عرف على سطح الكرة الارضية، إلا أن تعريف المصطلح في حد ذاته (أي مصطلح العائلة) بقي مائعاً في لغتهم، ويعتبر تعريف كل من (H.J. Locke, E.W. Burgess) (1953)، إلى حد ما أكثر التعريفات قبولا، ويتلخص هذا التعريف في أن العائلة هي مجموعة من الاشخاص المتحدين بروابط الزواج والدم أو التبني، المشكلين أو المكونين بيتاً واحداً يتفاعلون ويتصلون أو يتواصلون مع بعضهم البعض كل حسب دوره الاجتماعي كزوج وزوجة، كأم وأب، وأخ وأخت، المحدثين لثقافة مشتركة.

من الواضح إذاً أن الزواج «Marriage» يعتبر هو الرباط الزيجي «Contjugal tie» بين الزوج والزوجة في نطاق العائلة البسيطة أو النووية، ولكن على أية حال فان بعض علماء القرابة من الانثروبولوجيين لا يعتبرون العائلة والزواج «Family & Marriage» ظاهرة ذات وجود عالمي «Universal phenomenon» بل هم من زاوية أو ناحية اخرى يعتبرون الام وطفلها أو طفلتها «Mother & Child»

الوحدة الاجتماعية الاساسية في أي مجتمع في العالم، ولكن إذا ما سلمنا بهذا الطرح لهذه القضية أو هذا المفهوم فان مشكلة أخرى على جانب كبير من الخطورة سوف تبرز إلى حيز الوجود، لأن هذا التفسير للمفهوم العائلي يعني أنه في عدد كبير من المجتمعات الانسانية سوف لن يكون هناك وجود لمؤسسة العائلة على الاطلاق، وعلى ما يبدو ان السبب الرئيس الذي يجعل بعض علماء القرابة من الانثروبولوجيين والاجتماعيين يرفضون قبول العائلة والزواج على انها الوحدة الاجتماعية الاساسية العالمية «As a universal social unit» انه في بعض المجتمعات البشرية يوجد اعتراف بعدة انواع مختلفة من الزواج والتي فيها الشركاء «Partners» في العملية الزوجية ليسا الرجل والمرأة «Man & Woman»، واحسن مثال على هذه النماذج من الزيجات المختلفة هو مؤسسة زواج المرأة من المرأة في مجتمع النوير «The Nuer institution of woman marriage to a woman» والذي قدم لنا الاستاذ «ايفانز برتشارد» (1951) دراسة وافية عنه في كتاب موسوم «القرابة والزواج في مجتمع النوير»، فهنا نجد ان الطرفين في الاتحاد الزوجي كلاهما نساء، وطالما أن هذا النوع أو النموذج من الزواج الذي يختلف كلية عن الزواج العادي البسيط (والذي طرفاه رجل وإمرأة)، فإنه يصبح من الصعب الافتراض بأن العائلة التي يكون فيها الزواج هو الرباط الزيجي بين المرأة والرجل على أنها مؤسسة ذات وجود عالمي.

والحديث أو النقاش حول موضوع العائلة الزيجية أو النووية وعالميتها «Universality» يقودنا إلى أن نسلط الضوء وبصورة مختصرة على النظامين «الأمي» و«الأبوي» *، وفي هذا الصدد نستطيع القول بأنه عندما يتبع النسل «Descent» عن طريق الاناث فقط فهذا يعرف باسم «النظام الأموي»، وفي هذا النظام «Matrilineal system» فإن الزوجين «Married couple» وليس أطفالهم الذين يعتبرون الوحدة الاجتماعية في المجتمعات الأموية، والسبب في ذلك أن

* النظام الأموي كان سائداً عند الكثير من الشعوب مثل: الهنود الأمريكيين، وعند السكان القدماء باستراليا، وعند الكثير من السكان الأصليين لاندونيسيا وماليزيا وغيرهم، أما النظام الأبوي فهو قد وجد عند الرومان القدماء، والصينيين، والشعوب الرعوية في جنوب وشرق أفريقيا، وعند العرب والمسلمين.

الأطفال سوف يؤخذون من قبل خالهم «Their motheris frather»، وهم الذين يرثون ثروته، ومن هذا القبيل فإن العائلة تتكون من الزوج والزوجة وأبناء الأخت «Sisteris children»، وعلاوة على ذلك فإنه في المجتمعات التي من هذا القبيل (أي النوع الأموي)، فإن العائلة الممتدة «Extended family» هي الوحدة الأساسية وليست العائلة النووية أو الزيجية حتى ولو كان ذلك لفترة أو مدة.

ومن ناحية أخرى فإنه في المجتمعات الأبوية والتي فيها يتبع النسل عن طريق خط الذكور «Through females only» فإن الزوج والزوجة وأطفالهم هم حقاً الوحدة الاجتماعية الأساسية، وحتى في المجتمعات الأبوية فإن العائلة الممتدة تبدو أيضا على أنها الوحدة الأساسية خصوصاً في المجتمعات الصغيرة «Small scall societies» لأن أبناء العم «Father's frother's children» هم في العادة أعضاء في العائلة الممتدة.

ومفهوم العائلة الدال على أنه في كل مجتمع انساني يوجد شيء يعرف بمؤسسة العائلة البسيطة أو الزيجية أو النووية قد نال قسطاً وافراً من الدراسة والنقاش المستفيض من قبل علماء الانثروبولوجيا والاجتماع، فالاستاذ موردوك «Murdock» (1940)، والذي يعتبر من مشاهير العلماء في ميدان الدراسات العائلية، حاول على أساس معلومات جمعت لأكثر من 250 مجتمعاً انسانياً للتأكيد على أن العائلة البسيطة أو الزيجية أو النووية توجد كوحدة متميزة «As adistinct unit»، كما أوضح أنها جماعة أساسية في التنظيم الاجتماعي وهي ذات وظائف كبيرة في أي مجتمع معلوم، ويمضي الاستاذ موردوك قائلا: ان الاسرة كوحدة اجتماعية عالمية تقوم باربع وظائف أساسية لا غنى للحياة الاجتماعية الانسانية عنها، وهذه الوظائف تتلخص على الوجه التالي:

(أ) الوظيفة الجنسية The sexual function.

(ب) وظيفة إعادة الخلق واستمرارية الجنس البشري The function of reproduction.

(جـ) الوظيفة الاقتصادية The economic function.

(د) الوظيفة التعليمية أو عملية التنشئة الاجتماعية The educational function.

وقد تبنى وجهة نظر الاستاذ موردوك «Murdock» هذه عدد من العلماء والباحثين أمثال العالم الأمريكي «Parsons»، وبالز «Bales» (1955)، فالاستاذان المذكوران أعلاه يناقشان ويجادلان هذا الموضوع الذي تناوله «Murdock» بشيء من النقد الشديد حيث يقولان: ان عملية التنشئة الاجتماعية بكل تأكيد تتطلب وحدات اجتماعية صغيرة «Small social units»، والتي يكون بمقدورها القيام بتلك الوظيفة الأساسية والحيوية.

ومن وجهة نظر كل من «Parsons» و«Bales» ان الوحدات الاجتماعية الصغيرة التي ليس لها بناء قرابي «Non-Kinship structured units» لا يحتمل اطلاقاً ان تقوم بالوظيفة الخطيرة لعملية التنشئة الاجتماعية، وهي بحق وظيفة ذات بعد عالمي وبصورة فعالة، والاستاذ موردوك «Murdok» في كتابه (البناء الاجتماعي) يمعن في مناقشة ضرورة عالمية الاسرة البسيطة أو الزيجية، ويذهب إلى تأكدية على وجودها كخلية أساسية إلى حد القول بأنه (حتى عندما تكون العائلة البسيطة متداخلة) «Enueloped» في وحدات عائلية ممتدة باسم العشيرة أو القبيلة فهي مع ذلك تظل دوماً متميزة كوحدة جزئية «Sub-unit» ذات وظيفة عالمية «Universal function».

أما الاستاذان ليفي «Levy»، وفلرز «Fallers»، فقد حاولا فحص افتراض الاستاذ «موردوك» بخصوص عالمية الاسرة النووية أو الزيجية ودورها الخطير في الحياة البشرية بشيء من التفصيل، ولكن على ما يبدو انهما ليسا على اتفاق تام مع وجهات نظر «موردوك»، وبهذا الصدد فقد كتبا يقولان: نحن لا ننكر على أية حال انه في أغلب ـ ان لم يكن في كل ـ المجتمعات البشرية ان الافراد أو الاشخاص قادرون على تمييز آبائهم واخوتهم أي «Hineal relatives» من الاقارب الاخرين «Collateral relatives»، ولكن نحن لا نعتقد أن العائلة الممتدة أو العشيرة دائماً تتكون من تجمع للعائلات البسيطة أو الزيجية «Aggregation of nuclear families» وانه في تلك العائلات فان عملية التنشئة الاجتماعية تتم أساساً في اطار العائلة البسيطة أو الزيجية أو النووية.

وفي مقال آخر نجد ان الاستاذ ليفي «Levy» (1955) يناقض افتراض الاستاذ موردوك «Murdock» الخاص بضرورة قيام العائلة الزيجية أو النووية بوظيفة التنشئة

الاجتماعية، حيث يشير إلى أنه في العائلة الصينية التقليدية نجد ان الاطفال تتم تنشئتهم الاجتماعية في اطار العائلة الابوية الممتدة، وفي مثل هذه الوحدة فان العائلة البسيطة أو النووية لا تعتبر على الاطلاق الوحدة الجزئية القوية الفعالة.

اما الاستاذ ملفورد سبيرو «Melford Spiro» في مناقشته لموضوع العائلة ومسألة عالميتها فقد تبنى وجهة نظر مختلفة عن وجهات نظر موردوك «Murdock» السابق الذكر، فمن خلال دراسات «سبيرو» لمجتمع الكيبوتز «Kibbutz» باسرائيل يفهم ان العائلة في ذلك المجتمع تتألف من البالغين من كلا الجنسين ومن اطفالهم، ولكن الشيء الجدير بالذكر هنا ان وظيفة التنشئة الاجتماعية أو عملية التطبيع دائماً يقوم بها المجتمع بأسره وليست العائلة التي ينتمي لها الطفل، وذلك من خلال الوظائف التي يقوم بها المدرسون والمدرسات والممرضون والممرضات وغيرهم من بقية قطاعات المجتمع الاخرى، نيابة عن الاباء «On behalf of the parents»، والحال هذه فان «سبيرو» يعتقد انه من الصعوبة القول بان الاسرة أو العائلة البسيطة أو النووية يكون لها وجود اجتماعي في المجتمع المعني بالذكر، طالما ان أهم وظائفها تقوم بها مؤسسات اخرى غير مؤسسة العائلة الزيجية.

وعلى أية حال فان الاستاذ سبيرو «Spiro» بعد انقضاء بضعة اعوام على وجهات نظره المذكورة آنفاً اعاد النظر في مقاله السابق الذكر وفيما ضمنه من آراء حول عملية الاسرة البسيطة أو الزيجية، وفيما تقوم به من وظائف، فقد اعترف بطريق ضمني أو غير مباشر بوجود العائلة البسيطة أو الزيجية في مجتمع «الكيبوتز» وباهميتها في عملية التنشئة الاجتماعية، فقد اشار إلى أنه بالرغم من أن الاباء وأطفالهم لا يشكلون عائلة بالمعنى الذي حدده الاستاذ موردوك «Murdock» لمفهوم العائلة، إلا أنهم مع ذلك يكونون جماعة فريدة متميزة في مجتمع «الكيبوتز» فالاطفال في هذا المجتمع ليسوا فقط مرغوبين من قبل الاباء ولكن في معظم الاحيان يخطط لهم، وعلاوة على ذلك فان هؤلاء الاطفال وليس أناس آخرون يدعون كأبناء وبنات، ومن جهة أو زاوية اخرى فان الاطفال يدعون آباءهم كأب وأم، ومن ثم الاباء وأطفالهم يشكلون أو يكونون مجموعة اجتماعية «Social group» تتميز بوظائفها التفاعلية والعاطفية.

والحقيقة الهامة التي يمكن استنتاجها من دراسة «ملفورد سبيرو» لمجتمع «الكيبوتز» هي انه بالرغم من أن الاباء والامهات يلعبون دوراً ثانوياً في عملية التنشئة الاجتماعية في شكلها أو اطارها الرسمي، إلا أن لهم دوراً خطيراً في حياة انجالهم أو اطفالهم، وهذا يعني ان المدرسين والمدرسات والممرضين والممرضات وغيرهم من بقية المؤسسات الاجتماعية لا يربون الاطفال وفقاً لتعليماتهم وأمزجتهم الخاصة ولكن حسب الاجراءات والقواعد والمعايير التي يضعها ويرتضيها الاباء والامهات.

وخلاصة الحديث عن النقاش الدائر عن الاسرة ومسألة وجودها كمؤسسة اجتماعية عالمية، انه بالرغم من ان العلماء والمتخصصين في شؤونها ليسوا على اتفاق تام في مسألة عالميتها والوظائف المناطة على عاتقها، إلا أنه يمكنني القول ومن وجهة نظرنا الشخصية ان الاسرة البسيطة أو الزيجية كخلية اجتماعية هي مؤسسة ذات وجود عالمي لا غنى للكائن البشري عنها، فمرحلة الطفولة الطويلة والاعتماد الكلي للصغار على رعاية وحماية الكبار تجعل وجود تنظيم أسري أمراً ضرورياً لخلق الأجيال، فالاسرة النووية أو الزيجية موجودة حتى وان كانت تلك العائلة متضمنة أو متداخلة أو مغلقة في وحدات اجتماعية أكبر «Enveloped in more extended domestic units»، كما هو الحال في المجتمع الصيني وفي غيره من المجتمعات البسيطة.

هذه المؤسسة هي شيء جوهري وضروري لخلق الأجيال الأقوياء الذين هم عماد تقدم وازدهار الأمم واستمرار البشرية على هذه الارض، لقد جاءت هذه الأهمية وحدة في النظرية العالمية الثالثة في ركنها الاجتماعي حيث يقول المفكر معمر القذافي (17:1979) بهذا الصدد:

«فالمجتمع المزدهر هو الذي ينمو فيه الفرد في الاسرة نمواً طبيعياً، وتزدهر فيه الاسرة ويستقر الفرد في الاسرة البشرية مثل الورقة في الغصن أو مثل الغصن في الشجرة لا معنى له إذا انفصل عنها ولا حياة مادية له، وكذلك الفرد إذا انفصل عن الاسرة، أي أن الفرد بلا أسرة لا معنى له ولا حياة اجتماعية له وإذا وصل المجتمع الانساني إلى وجود الانسان بدون أسرة فيصبح حينئذ مجتمع صعاليك، مثله مثل النبات الصناعي».

فالاسرة بصفة عامة هي وحدة تقوم بمجموعة من الوظائف المحددة تترك آثارها في العملية الاجتماعية واستمّرار المجتمع باسره، وان أية محاولة لتقويض دعائم النظام الاسري، (كما حدث في المجتمع الغربي وفي عدد من بلاد العالم الاخرى نتيجة للثورة الصناعية خلال القرن الثامن عشر)، هي شيء ضد الطبيعة البشرية والقانون الطبيعي وهو وضع صناعي معرض للفشل آجلا أو عاجلا، فقد حدث في اعقاب الثورة البلشفية (الروسية) عام 1917م ان حاولت الحكومة السوفيتية التقليل من شأنها، ولكن بعد ان استقرت الامور عادت الحكومة مرة اخرى إلى تبني سياسة تدعيم الاسرة والنظام الاسري والمحافظة عليها، وما ذلك إلا ادراك منها ان الاسرة كمؤسسة اجتماعية ضرورة حتمية لبقاء الجنس البشري واستمرارية الحياة الاجتماعية، وتبين لنا الدراسات الاسرية كيف ستحول عدد من الحقائق الأولية كالالتصاق والضعف اللذين يشعر بها الوليد الانساني إلى مجموعة من العلاقات الاجتماعية المحددة، فعلى سبيل المثال تتوقع الأمم في كل المجتمعات تنمية مشاعر معينة لدى الطفل كما تتقبل بدورها مجموعة من الالتزامات المحددة.

لقد تبين ان الاطفال الذين يلحقون بالمؤسسات الايوائية مع توفر الرعاية المادية الكاملة واشباع حاجاتها الجسمية لا ينجحون في حياتهم ما لم تتوفر لهم الحاجة النفسية والاجتماعية التي تحدد في المواقف الطبيعية للأم نحو صغارها سواء عند الانسان أو عند بعض انواع الحيوانات، ولقد اتضح من دراسة مقارنة لجماعة من الاطفال عاشوا في مؤسسة داخلية وجماعة اخرى عاشت في كنف اسرة خاصة، ان الاطفال الذين عاشوا في المؤسسات كانوا بوجه عام اقل نمواً في قدراتهم العقلية، واضعف من حيث المهارات اللغوية، وهم ايضا أقل قدرة على تكوين علاقات اجتماعية ايجابية مع الاشخاص الاخرين.

والوحدة الاسرية تلعب دوراً بارزاً في نمو الذات وتحافظ على قوتها، إذ أنها توفر بناء محدد للذات، ومن ثم تسمح لها بادراك الواقع والتنبؤ بالسلوك في المواقف المختلفة، اضف إلى ذلك ان الاسرة بمثابة عالم صغير يرتبط بروابط وثيقة من العلاقات الشخصية المتبادلة لا يمكن ان تتوفر بمثل هذه الدرجة في أي محيط آخر، وإذا كان الفرد يعتبر جزءاً متفاعلا في هذا البناء ويقوم بوظيفة فيه، فانه يمارس امتداداً لذاته الخاصة، فالفرد ليس هو مجرد ذاته فحسب، بل هو أيضاً جزء

من كل مرتبط معه بروابط متينة يحصل منه (أي من هذا الكل) على قوة متزايدة.

فلا غرابة إذاً أن نجد ان الطرح الانساني للنظرية العالمية الثالثة يؤكد ان الطريق الأمثل لتحقيق السعادة ومن ثم لتحقيق الحرية للانسان يكمن في ضرورة محافظة المجتمع الانساني على تماسكه الاسري بغية الاستفادة من المنافع والمزايا والقيم والمثل التي يوفرها الترابط والتماسك والوحدة والالفة والمحبة الاسرية، وفي هذا الصدد يقول القائد الفكر (1979:16-17):

«ان المجتمعات التي يتهدد فيها وجود الاسرة ووحدتها بسبب أي ظرف من الظروف هي مثل الحقل النباتي الذي يتهدد نباته بالانجراف أو العطش أو الحرق والذبول واليبس، فالحديقة المزدهرة أو الحقل المزدهر هو الذي تنمو نباتاته نمواً طبيعياً وتزهر وتلقح وتستقر .. وكذلك المجتمع الانساني».

ان النظرية العالمية الثالثة باعتبارها المبشرة بعصر الجماهير، العصر الذي فيه الشعوب صاحبة السلطة والثروة والسلاح هي نظرية لكل الانسانية قاطبة بغية هدايتها نحو عصر الانعتاق النهائي من كل ألوان الظلم والقهر والاستعباد، رأت انه لابد من الاهتمام بالمرأة باعتبار انها نصف المجتمع والعمود الفقري الذي تقوم عليه أية خلية اسرية سوية، فهي إذا جاز التعبير احد طرفي المعادلة الاسرية على اعتبار ان الزوج هو الطرف الاخر المتمم لتلك المعادلة، فاهمية المرأة في البنيان الاسري هي نفس اهمية الرجل ان لم تكن أكثر منه أهمية، فكل من الرجل والمرأة مكمل للاخر، ومن أجل كل ذلك اعتبرهما البارىء القدير على ان كل منهما سكن للاخر وراحة ومودة له، ففي سورة الروم يقول الله تعالى: «**ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة**»، وفي سورة البقرة يقول تعالى: «**هن لباس لكم وانتم لباس لهن**».

ان اهتمام النظرية العالمية الثالثة بقضية المرأة لم ينطلق من فراغ وإنما هو رد فعل للظلم والقهر والذل والاستعباد والذي عانته حقبة طويلة من الزمن، فالانسانية إذا قدر لها ان تبقى وان يعم الخير والسعادة لابد لها من الاهتمام بقطاع النساء باعتبارهن نصف سكان الكرة الارضية أو ما يزيد، فالأمومة باعتبارها عملية تربوية على درجة كبيرة من الخطورة هي من اختصاص المرأة وأن أية محاولة للاستغناء عن دور المرأة الطبيعي في الأمومة وذلك بانه تحل دور الحضانة كلياً محل الأم

ـ كما يحدث في المجتمعات الغربية والشيوعية وغيرها من بلاد العالم ـ إنما هو في جوهره استغناء عن المجتمع الانساني في حد ذاته وتحويله إلى مجتمع صناعي، ان الوضع الطبيعي لبني الانسان المفعم بالسعادة (في مفهوم النظرية العالمية الثالثة)، هو أنه ينشأ الفرد في اسرة فيها الامومة والابوة والاخوة على حد سواء.

ان البنيان الاسري السليم لابد وان يقوم على أساس من التفاهم بين الزوج والزوجة، وهذا بطبيعة الحال لن يتسنى إلا إذا كانت العلاقات قائمة على قدم المساواة ومعرفة كل منهما لحقوقه وواجباته وذلك وفقاً لمعطيات انسانية، ومن أجل ذلك فانه وفقاً لاطروحات النظرية العالمية الثالثة لا يجوز لأي من الرجل أو المرأة أن يتزوج الاخر رغم ارادته أو أن يطلق دون محاكمة عادلة أو دون اتفاق إرادي من كليهما، وحيث أن المنزل هو المكان الملائم للامومة التي هي وظيفة طبيعية للمرأة، فان المرأة هي صاحبة المنزل.

ان قضية حرية المرأة قد شغلت اذهان العلماء والباحثين والمفكرين في الشرق والغرب أمداً طويلا من الزمن ولكن جميع المحاولات كانت ذات نظرة سطحية لانها لم تنطلق من أرضية صلبة تحاول كشف الداء قبل وصف العلاج المناسب، وتجاه هذه القضية الخطيرة ينقسم المفكرون والعلماء بشكل عام إلى طائفتين، فريق تقليدي محافظ يرى ان المرأة اقل منزلة من الرجل وان المكان المناسب لها ان تبقى رهينة جدران البيت، وفريق آخر يدّعي التقدمية، ولا يمانع في خروج المرأة لميدان العمل، ولكن الشرط الاساسي لوضع المرأة على قدم المساواة مع الرجل في الحقوق هو مساواتها معه في الواجبات، أي أنه على المرأة ان تخرج إلى ميدان العمل وتمارس نفس الاعمال التي يقوم بها الرجال وتحت نفس الظروف، وان دعاة هذه المساواة المزعومة جميعاً قد تجاهلوا جوهر أو صلب القضية المطروحة فالقضية كما تطرحها النظرية العالمية الثالثة تتجلى في انه ليس هناك فرق أو تفرقة بين المرأة والرجل والكبير والصغير في الحقوق الانسانية ولكن ليست هناك مساواة تامة بينهم فيما يجب ان يقوموا به من واجبات، فالشيء الذي يقوم به الطفل لا يستطيع ان يقوم به انسان بالغ والذي تقوم به المرأة قد لا يقوم به الرجل، أو الذي يقوم به الرجل قد لا تقوم به المرأة، فالعمل إذاً يجب ان يوفره المجتمع لجميع افراده القادرين عليه والمحتاجين له رجالا ونساءاً، ولكن الشرط الجوهري من منظور النظرية العالمية

الثالثة هو ان يعمل كل فرد في المجال الذي يناسبه وألا يجبر تحت ظروف القهر والعسف ان يعمل ما لا يناسبه، وتجاهل الفروق الطبيعية بين الرجل والمرأة والخلط بين ادوارهما لا يعتبر اتجاهاً حضارياً، وإنما هو عمل مضاد لنواميس الطبيعة وعبودية مقننة فالمرأة في الشرق ينظر لها على انها سلعة، كقطعة أثاث قابل للبيع والشراء، فهي «حريم» للمتعة، أما في المجتمعات الغربية فلا يوجد هناك تحرر فعلي، فالمرأة في هذه المجتمعات اضطرت لتقمص شخصية الرجل من أجل لقمة العيش ونيل الحقوق والحرية المزعومة، لأنها في حقيقة الأمر مضطهدة ومجبرة على التحول إلى سلعة اقتصادية، فهي اداة انتاج ليس إلا.

ان النظرية العالمية الثالثة تنظر للموضوع من زاوية أبعد وأعمق، فجوهر القضية هو تحقيق حرية الانسان سواء كان ذلك الانسان ذكراً أم انثى وعلى أساس انساني صرف فالتمايز في المجتمع الجماهيري المنشود لا يكون إلا على أساس ما يقدمه هذا الفرد أو ذاك من إنتاج لتحقيق الرفاهية العامة للمجتمع، وبتحقيق الرفاهية للمجتمع تتحقق السعادة والحرية الاسرية وهي المعين الذي لا ينضب لصنع الاجيال صانعة التقدم والخير والنجاح.